قد ولو تقديرا في مثبت الماضي اما قد المذكورة فكما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل
الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا واما المقدرة فكما في قوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا
وقوله او جاؤكم حصرت صدورهم وهذا مذهب الفراء والمبرد وابي علي وجماعة من المتأخرين
كالزمخشري وابن الحاجب وذهب الاخفش والكوفيون الى انه لا حاجة الى تقدير قد وحينئذ
تنعقد لفظا لكثرة وقوع الماضوية حالا بدون قد والاصل عدم التقدير لاسيما فيما كثر
استعماله ووجه بعضهم القول الاول بان قد انما اشترطت لتقريب الماضي الى الحال فتصح
اذ ذاك لوقوعها حالا قال الشريف الجرجاني في شرح المفتاح وهذا منظور فيه لان قد تقرب
الماضي من الحال بمعنى الحاضر الذي هو زمان التكلم لا بمعنى الحاضر الذي هو زمان التكلم
لا بمعنى ما بين كيفية الفعل فان الحال بهذا المعنى الذي كلامنا فيه على حسب عاملها
قد يكون ماضيا وقد يكون حالا وقد يكون مستقبلا كما لا يخفى فما ذكر غلط نشأ من
اشتراك لفظ الحال والجواب ان الافعال اذا وقعت قيودا لما له اختصاص باحد الازمنة
كان مضيها واستقبالها وحاليتها بالقياس الى ذلك المقيد لا الى زمان التكلم كما
اذا وقعت مطلقة مستعملة في معانيها الاصلية ولا استبعاد فيما ذكرناه فانهم صرحوا
بان ما بعد حتى قد يكون مستقبلا بالقياس الى ما قبلها وان كان ماضيا بالنسبة الى زمان التكلم
وعلى هذا فاذا قلت جاء زيد راكبا فهم منه تقدم الركوب على المجي فلا يقارن الحال عاملها
واذا قلت قد ركب فهم قربه الى زمان المجي فهم مقارنته اياه ابتداء الركوب كان متقدما الا انه
ان قارن المجي في الدوام واذا قلت جاءني زيد يركب دل على مقارنتهما وح ظهر صحة كلام
القوم في هذا المقام وفي هذا وجوب تجريدها الجملة عن علامة الاستقبال كالسين وسوف
وان اذ لو صادف بها يتبادر منها كونها مستقبلة بالقياس الى عاملها واما ما يقال من
انهم استبشعوا ان يقع الماضي الصرف حالا بهذا المعنى الذي نحن بصدده للتنافي
بين الماضي والحال بمعنى ما يقارن زمان التكلم فاحتيج الى ادخال قد المقرب الى الحال
لتكسر سورة ذلك التنافي ويزول الاستبشاع فيهما لا يلتفت اليه وطبع سليم اليه هنا كلا

واقول

واقول اشار بهذا القول الذي لا يلتفت اليه الى ما وقع للرضي في شرح الكافية واما ما
قدره هو وارتضاه وان كان بعضه ماخوذا من كلام التفتازاني في حاشية الكشاف
فلي فيه نظر وذلك ان غاية ما قاله بين لفظة الماضي والمجي ان قد قربت الماضي الواقع قيدا
من زمان العامل فعمت مقارنته له ولم يقيد دليلا على فهم المقارنة وهي المطلوب في ما ذكر
من التقريب المشار اليه وهو لا يدل على ذلك بوجه وقد يورد عليه مثل جاء زيد لم يضحك انه
مقتضى تقديره ان مضى هذا الفعل الواقع قيدا بالنسبة الى المقيد وهو جاء فيفهم
منه تقدم عدم الضحك على المجي فلا يقارن الحال عاملها وجوابه ان النافي في هذا المثال
ونحوه وان دل على انتفاء متقدم لكن الاصل استمرار ذلك الانتفاء حتى تظهر قرينة انقطاعه
نحو لم يضحك امس وليس ولكنه ضحك اليوم والفرض عدم هذه القرينة فاذن الاستمرار
الذي هو الاصل هنا لعدم المعارض فحصل الدلالة على المقارنة فجاز بهذا الاعتبار
وقوعها حالا وهذا بخلاف الماضي المثبت فان وضع الفعل على افادة التجدد فمن اين
يكون الاصل استمراره فلذلك قال من قال يحتاج الى قد المقربة من الحال ليفهم المقارنة
وقد عرفت ما فيه والظاهر مذهب الاخفش والكوفيين في المسألة والمقارنة مفهومة
بدلالة سياق الكلام على الحالية ولا حاجة الى تكلف شي من تلك التعليلات فان قلت
شك في جواز اقتران الماضي المثبت بقد اجماعا وعند وجودها يلزم ان يكون الماضي
قريبا من الحال فيشكل كلام الكوفيين وغيرهم لوقوع التدافع في مثل جاء زيد وقد
ركب اذ وقوعها حالا يقتضي مقارنته للعامل الماضي وقد يقتضي قرب زمانه منه لاقترانه
بقد قلت لا تدافع لانا لا نسلم ان قد للتقريب بل هي للتحقيق سلمنا كونها للتقريب لكن لا
نسلم التدافع اذ لا مانع من ان يكون زمن الركوب المقيد للمجي الماضي كان قريبا منه بدليل
قد ثم قارنه بدليل تقييده به لو قوعه حالا او الحاصل انه لما وجدت قرينتان لا تتضادان
مقتضاهما قرنت على كل واحد منهما ما تقتضيه فلا اشكال وجب تصديرها الشرطية بضمير
الحال قال المطرزي لا يقع جملة الشرط حالا لانها مستقبلة فلا تقول جاء زيد ان يسال

Copyright © King Saud University